ديانا
دعوة ملكية
لزواج أسطورى

- خمنى ماذا حدث ؟!

- ماذا حدث !؟

- تلقيت دعوة من القصر الملكى!

- ماذا؟!

- وذلك لحضور حفلة صيد، وقضاء أجازة فى قصر ساندرينجهام

- أمعقول؟! من الممكن أن تكونى ملكة بريطانيا .

- أشك فى هذا، هل تشاهدينى أصلح لمثل هذه الحفلات الملكية!؟

كان هذا الحوار، الذى دار بين ديانا ولوسيندا كريج صديقة أختها سارة، والتى كانت تعمل فى بيتها فى تنظيف حجراته وكى ملابس عشاقها، وكان آخر ما توقعته ديانا أن تأتيها مثل هذه الدعوات، رغم صلتها وصلة أختها سارة بالقصر الملكى، ومقابلة تشارلز فى حديقة قصر والدها، عبر محاولة سارة أختها الكبرى فى الفوز به كزوج.

وتذكر ديانا أن أختها حاولت أن تبعدها عن طريق الأمير وقد نجحت فى هذا، لكن ما يدعو إلى الحيرة والدهشة بالنسبة لديانا، أن هذه الدعوة جاءتها عقب إذاعة القصر الملكى رغبة أمير ويلز فى الاستقرار واختيار زوجة له، وزواج أختها سارة من نيل ماكوركديل، وقد صرح تشارلز فى وقت لاحق حول اختياره لزوجة له قائلاً (إن الزواج أهم بكثير من الوقوع فى الحب، وأعتقد أن المرء يجب أن يفكر فى الزواج على أنه شعور متبادل بين الزوجين بالاحترام، وأساساً يجب أن يكون الزوجان صديقين حميمين، وأنا واثق أن الحب سوف ينمو نتيجة لهذه الصداقة، ونظراً لوضعى الخاص ومسئولياتى فإننى يجب أن أتأكد من اتخاذ القرار السليم، إن آخر شيئ أفكر فيه هو احتمال أن أنفصل عن زوجتى القادمة بالطلاق)، (إن زوجتى القادمة يجب أن تدرك أنها لا تتزوج مثل الأخريات، لأنها ستتزوج نظاماً للحياة أيضاً، وإذا كنت أبحث عن زوجة تقاسمنى الخمسين سنة القادمة من حياتى، فإن هذا آخر قرار أريد أن يمليه قلبى على عقلى).

ما قاله تشارلز يعتبر فى المقام الأول رسالة واضحة وموجهة إلى المرأة التى ستستطيع أن تشاركه حياته، مشاركة فاعلة ومؤثرة فى مقتضيات أصول وأحكام النظم الملكية البريطانية، حين تتحول من إمرأة عامة لها كافة صلاحيات مبدأ الحرية والتعددية السلوكية إلى إمرأة خاصة، وفق شروط خاصة، يرتضيها الغير فيها، ويقبل عليها طبقاً للأحكام الجوهرية فى أنها ستكون أميرة وزوجة لملك البلاد، عبر القدرة الصادقة فى تنازلات متعددة وكثيرة تحولها من العام إلى العالم الخاص.

هذا العالم الخاص فى نظر تشارلز وفى يقين أمه اليزابيث، وفقاً لهذا التنظير الاستعلائى هو ما يجب أن يسود سلوك الأميرة فى هذه القصور، بغض النظر تماماً عن السلوك الخاص بتشارلز، حين أباح لذاته حرية العشق والفجور مع نساء الأصدقاء وغير الأصدقاء، وما يعترى هذا السلوك من شائعات، قد تكون صادقة، وقد تكون ضرباً من خيال حكايات الناس فى المقاهى والحانات ومنازل المعجبين للتاج أو الرافضين لبقائه وسط عالم من الانحرافات التى لا تليق بالأمير الشاب. هل هذا الفكر استطاعت أن

تستوعب مغزاه ديانا؟ أم لم تستطع طبيعتها المنطلقة فى دائرة ومحيط معنى «العذرية» أن تتقبله، خروجا منها عليه، أم خضوعا له عن ارادة غير حقيقية فيها ؟!.

حاولت ديانا قبل أن تكون زوجة، أن تكون قريبة من قلب الأمير، حاولت أن تعرف الجديد، مكتفية بما عرفته من القديم فى تاريخ تشارلز، الذى امتلأت صفحاته بأجساد غيرها من النساء، خاصة جسد كاميلا فى مرايا حجرات النوم، حتى تقابلت ديانا وتشارلز، وتواجها وجهاً لوجه، وجه شاب تجاوز سنه أكثر من ثلاثين عاماً، أمام وجه برئ القسمات، واضح الاستواء، عبر عيون حالمة بريئة، أمام عيون مثل عيون الذئاب والثعالب، كانت ديانا صغيرة أكثر من اللازم لسن تشارلز، كانت فى بداية رحلة الظمأ إلى مستقر، وكان تشارلز يلفظ أنفاسه فوق أكتاف كاميلا، ومع ذلك أحسنت ديانا عندما شاهدت الأمير أنها لم تعرف بعد خلفيات المصير القادم. حاولت ديانا أن تتقبله بكل ما فيه، من سلبيات وإيجابيات، من عمليات هبوط أخلاقى، إلى عمليات صعود معنوى، حتى كادت فى داخلها أن تقول أن تشارلز هو فعلاً فارسها الموعود، عندما بدأت فى صحبته إلى كثير من الحفلات الترويحية والموسيقية الأوبرالية، ورحلاته البحرية، فوق يخته المفضل «برتيانيا» الذى كان من أفضل وأفخر وأقوم يخوت والده الأمير فيليب منذ شبابه الباكر.

وبدأت ديانا تدخل عالم الأقارب والأصدقاء، يدفعها فى هذا رغبتها الأكيدة فى تاج بريطانيا، وعشقها الخيالى فى الأضواء التى ستغمرها حتى الدخاع، ومع هذا بقى هذا الحاجز أو هذا الفاصل الشعورى الداخلى بينها وبين الأمير الذى تعرف مسبقا أنه سيكون زوجها، والتى لم تستطع أن تزيل جزءا منه حتى آخر يوم فى حياتها، رغم أنها أسلمت له ما فى قلبها من أمل أن تسير حياتها معه إلى آخر المدى.

ومنذ هذا اللقاء بين ديانا والأمير تشارلز منذ أوائل شهر يوليو عام ١٩٨٠ فى ثنايا وردهات قصر بالمورال أو عند شقيقتها جيلى، أو عبر لقاءات المساء، أو حول الاستراحات الخاصة بالقصور، أو أثناء رحلات صيد الأسماك أو جمع الزهور، أو حول مضمار سباق الخيل، آثارت ديانا فضول الآخرين، خاصة المصورين، سواء المصورين

الهواة أو غيرهم من الذين يعملون فى عالم الصحافة، وجميعهم دون استثناء سطوا على انتباهة ديانا، التى كانت تحلم بالضوء وفلاشات الكاميرات، تحلم أن الدنيا كلها يجب أن تكون نهار ساطع، تسطع بدفئها فى كل مكان، فى كل المدن وكل القرى الإنجليزية، ألم يختارها الأمير تشارلز؟ وفضلها عن كل نساء الأرض؟! ألم توشك أن تزف إليه أميرة متوجة على مقاطعة أو إمارة ويلز؟!! من الجانب الآخر بدأ اهتمام وسائل الإعلام فى الإقتراب من ديانا، مثلها مثل كاميرات المصورين ورجال الأركان الثابتة فوق صفحات الجرائد والمجلات، خاصة أن هؤلاء المصورين وجدوا فى مقاييس جسد ديانا أو فى قسمات وجهها البشوش خواص التمايز ونواصى التفرد فى جعل صورها مناطق جذب صحفى، وهى بدورها شجعت الكثير منهم، فى انتظارها والاقتراب منها وأخذ صورها فى أوضاع كثيرة لها، والكتابة عنها، عبر حوارات قليلة معها، والتقاط بعض الصور معها، وكان هؤلاء من المصورين ورجال الصحافة يرون أن من واجبهم المهنى أمام جماهير الشعب البريطانى أن يقدموا له بعضاً من حياة ديانا، التى ستكون فى يوم ما أما لملك الإنجليز، عبر وراثة عرش والده بعد رحيل الملكة اليزابيث، بحيث يقرأ ويرى ويعرف الشعب الانجليزى من هى ديانا ، هذة التى جاءت مثل السندريلا لتملأ حياة الأمير، أمير هذا الشعب الاستقرار والأمن والحب والسلام .

كانت ديانا فى هذا الوقت قبل الزفاف فراشة جميلة، تنتقل من مكان إلى آخر، مقبلة على الدنيا، فاتحة ذراعيها بالأمل والحب، محاولة بقدر الإمكان أن تجعل العيون تطاردها وتحاصرها، وهى الرشيقة الساقين، الهيفاء القامة، الملونة العيون، الذهبية الشعر، الحلوة الكلمة، البديعة الايماءة، إطروحة الابداع الوجدانى فى عيون عشاق للدن .وبهذا أقامت ديانا علاقة حميمة مع الصحافة ووسائل الاعلام المختلفة، مما دفع تشارلز أن يغضب أحيانا كثيرة فى هذا السلوك الفضولى حول حياته وبعض أسراره، خاصة أن هذة الوسائل الإعلامية كشفت أسراراً كثيرة كان تشارلز لايرغب فى كشفها، خاصة بعض الصور التى تجسم التجسيم الجميل لجسد خطيبته ديانا.

قد تحدث الكاتب أندرو مورتون فى كتابه عن ديانا، حول هذا العالم الذى بدأت تدخله ديانا ويفرض عليها طابعه ومصوريه، عالم الصحافة، وهذة الأزمة التى ستتزايد آثارها فى السنين القادمة حيث يقول (واشتركت امها فى المعركة مع الصحافة للدفاع

عن ابنتها، فكتبت رسالة إلى جريدة التايمز تشكو فيها من الأكاذيب والمضايقات التى تتعرض لها ابنتها الصغرى ديانا، منذ أن أصبح غرامها مع الأمير معروفا للجمهور، وقالت الأم فى رسالتها لجريدة التايمز (هل لى أن أسأل رؤوساء التحرير فى شارع الصحافة «فيليت ستريت» إذا كان من الضرورى لعملهم أن يضايق المحررون ابنتها ليل نهار، من الفجر حتى غروب الشمس يوميا، هل هذا عدل أن تعامل ابنتها هكذا ؟!) ويردف قائلا بعد ذلك (وبينما الأم تشكو من الصحافة قرر ستون عضوا فى البرلمان اعداد مشروع بيان لاستنكار الطريقة تعامل بها الصحافة ليدى ديانا سبنسر، وتم اجتماع بين رؤساء التحرير ومجلس الصحافة البريطانى، ورغم ذلك إستمر حصار الصحافة حول منزل ديانا، وحاصر الصحفيون أيضا قلعة الأسرة المالكة الشتوية فى قصر ساندر ينجهام، ولم يسلم قصر ويندسور من الحصار، رغم ما به من بوليس ومتحدثين صحفيين باسم الملكة. وقد ذكر أندرو مورتون فى كتابه السابق بعض الأمثلة التى جسدت شدة هذة الأزمة بين ديانا وعالم الصحافة، ومن هذة المثلة (وعند شقة ديانا رابط جيش من الصحفين لمتابعة أخبارها، واستخدمت ديانا حيلا بارعة للتخلص منهم، فكانت تتفق مع زميلاتها كارولين أن يتبادلا السيارات عند نزولهما من الشقة، كانت كارولين تستقل سيارة ديانا الحمراء المعروفة فيجرى وراءها الصحفيون والمصورون، وعندما يكتشفون أنها ليست ديانا، تكون ديانا قد استقلت سيارة صديقتها وهربت منهم. وذات مرة كانت ديانا مدعوة على العشاء ولقضاء الليل فى حفل عند أحد الأصدقاء، وحتى تهرب من جيش الصحفيين الذى كان فى انتظارها عند الباب، قطعت ديانا ملاءات السرير، وحولتها إلى حبل طويل ربطت فى نهايته حقيبة ملابسها، وأنزلتها من نافذة المطبخ، بعيدا عن انظار الصحفيين، ثم زاغت هى الأخرى منهم، وفى مرة أخرى كان الصحفيون يطاردونها فى الشارع فتسلقت صفائح القمامة، ودخلت أحد المتاجر فى نايتسبريدج من الباب الاحتياطى للحرائق، وفى مرة ثالثة تركت ديانا وكارولين سيارتهما وقفزتا فى الشارع لتلحقا بأحد أوتوبيسات لندن ذى الطابقين واللون الأحمر لتهربا من الصحفيين، وعندما توقف الأتوبيس فى اشارة حمراء للمرور، كاد الصحفيون أن يلحقوا بها، هبطتا من الاتوبيس ودخلتا أحد متاجر الأحذية للاحتماء به) .

الصراع الجنسى والنفسى
بين ديانا والأمير تشارلز
وكاميلا اللعوب

هناك نوع من النساء يأخذ ولا يعطى ونوع بقدر ما يعطى بقدر ما يأخذ، ونوع يعطى وفى نفس الوقت يأخذ، ونوع لا يعطى ولا يأخذ، ونوع آخر من النساء يعطى ولا ينتظر الأخذ، يعطى بلا أخذ، بلا حدود، ومن هذا النوع الأخير كانت كاميلا باركر باولز.

وهى من النساء التى قد يظلمها التاريخ، وإذا لم تتمهل خطاه أمام سيرتها الذاتية طويلا، وقد ينصفها التاريخ إذا تناول أطوار حياتها بالتدقيق والتحليل، وقد يمر عليها قطار هذا التاريخ فلا تلحق بأى عربة من عرباته فتنسى تماماً فى محطة من محطاته، عبر تاريخ البريطانيين، وعبر تاريخ السير العام.

تذكرنى كاميلا، على نحو ما بشخصية من شخصيات رواية «السراب» للكاتب الروائى الكبير نجيب محفوظ، والتى نشرت عام ١٩٤٨ فى طبعتها الأولى، وهى شخصية ثانوية، لكنها مؤثرة، كان لها تأثيرها النفسى والجنسى على شخصية كامل بطل هذه الرواية، فى كل مراحل سنين عمره حتى انتهت به الحياة إلى سراب، مثل ما فعلت على نحو ما أيضاً، كاميلا فى حياة الأمير تشارلز وزوجته الأميرة ديانا، التى وصلت إلى نفس المصير ونفس النهاية، عبر سراب نجيب محفوظ، عبر نفق من انفاق العاصمة باريس. فمن هى كاميلا باكر هذه؟ وما هو هذا التأثير النسيجى الشديد الالتصاق بين قطبى التلاقى والتنافر، على مستوى التحليل النفسى والتحليل الجنسى الذى هيمن على عالم كل من الأميرة ديانا والأمير تشارلز وكاميلا باركر نفسها بين الإثنين؟.

* * *

كاميلا من آل شاند أحد أشهر العائلات الثرية الارستقراطية فى ريف انجلترا، ولدت فى يوم السابع عشر من شهر يوليو عام ١٩٤٧، فى كنف والدها بروس شاند، الذى عمل بالتجارة حتى أصبح من أكبر تجار الخمور فى كل بريطانيا، وهو حسب ثرايه يقترب درجات من آلة الحكم الإنجليزى، الذى كان يتمثل فى العائلة الملكية والتى كان على رأسها الملك أدوارد والملكة اليزابيث الأولى ثم الثانية، عبر أمها روز الين أبنة اللورد آشكريب، الذى ارتبط إرتباطا وثيقاً بألوان بكنجهام، هذا القصر الذى أصبح حتى الآن أحد رموز السقوط الأخلاقى الذى نزل بالتاج البريطانى إلى أسفل سلم له من خلال مأساة كل من الأميرة ديانا، وكاميلا الصديقة الحميمة لأسرة التاج.

وقد إرتبط هذا التاج البريطانى بالطفلة كاميلا منذ أن وعت وفتنت بحكايات جدتها «اليس كابيل»، التى إذا عدنا إلى الوراء، عبر حقبة زمنية سابقة، هذه الجدة كانت لها حكاية فاضحة مع ملك الإنجليز إدوارد السابع، حيث كانت من أهم عشيقاته، وكانت الطفلة كاميلا تشبه إلى حد كبير جدتها عبر ملامح الجسد وملامح الوجه، الذى سيفتن به تشارلز ويعيد حكاية جده الملك إدوارد السابع. كانت أمها روزالين تحكى لها عن

الجدة اليس، وكيف كانت تقوم بدور العاشقة التى استولت على مجريات أمور كثيرة فى القصر الملكى، وكيف خضع لها أدوارد حتى كادت أن تصبح هى الملكة. شغفت الصغيرة كاميلا بهذه الصورة من العظمة ومن الفخر أن أليس جدتها كانت من أهم الشخصيات النسائية التى أحبها ملك الإنجليز أيام المستعمرات البريطانية فى الشرق الأدنى والأوسط، ولم تكن قد تخيلت على بساط الواقع، أن جدتها أليس كانت تدام عارية فى صدر رجل أيا كان مركز هذا الرجل، وأنها داعرة لا تعرف للشرف العائلى طريقاً ولا للسمعة الإجتماعية تحفظات الإستقامة، حيث أقامت أليس مكانتها على امكانيات الجسد الثائر فيها، فى سوق كان يباع فيه الشرف مقابل المكانة الملكية من بين أكتاف إدوارد السابع فى حياة قصور لندن والريف الإنجليزى، لم تع كاميلا فى هذا السن البكر معنى الدعر الإجتماعى والدعارة السياسية، بقدر ما وعت عبر حكايات أمها روزالين أن جدتها أليس كانت حديث المجتمع الراقى، وحفلات المساء، وتشابك يداها مع عيون وأيدى صاحبها الملك، وسط حفاوة رجال ونساء البلاط، مما دفع الجدة أليس إلى زميلاتها من الصغيرات، حيث كانت تقوم بسرعة حياة جدتها أليس حول كيفية كيف كانت تسير أو تتحرك من مكان إلى آخر، كيف كانت تتناول طعامها وأى نوع من الأطعمة كانت تتناولها مع الملك إدوارد، وكيف كانت ترتدى ملابسها، وأى نوع من الملابس كانت ترتدى، ومن كانوا المقربين إليها من أهل البلاط الملكى، كانت كاميلا مبهورة ومفتونة بهذا النوع من النساء، هى تمثل فيه الفرع من الأصل الضارب فى الدعر والرزيلة، رغم أنف الملكة الكسندرا زوجة الملك إدوارد السابع، والتى لم تستطع وهى ملكة أن تمنع أليس من أن تكون ملازمة لفراشها عشيقة لها كل نفوذها من خلال الجسد فى كل من يسكنون أو يقيمون أو يمتون بصلة ما بالقصور الملكية، ومن ضحكات القدر، أن مثل هذا سيحدث عن طريق كاميلا مع تشارلز فى السنين المقبلة.

* * *

فى باحة واتساع ضاحية «بلامبتون» عاشت كاميلا طفولتها، كما كان يحلو لها، وكما ارتضت لذاتها مثل هذا السلوك الخاص بها، والذى لا يميل إليه كثير من الأطفال

فى مثل سنها، حين اختارت الجنس الآخر من الصبيان رفيقاً لها، فى ألعابها وانطلاقاتها بطول كل مقاطعة «سويسكس»، كان ميلها إلى مرافقة الصبيان ميلا غريزياً لا يخضع فى داخله لأية إرشادات عائلية أو إجتماعية، ومن هنا اكتسبت كاميلا تاريخاً تجريبياً فى معاملة عالم الرجال منذ نعومة أظفارها، خاصة أنها كانت صريحة، ضحوكا، مهرجة، قريبة من عبث الصبيان بها، ويبدو أنها قد ولدت ولوعة بالعشق لعالم الرجل، عكس ميلها إلى مصاحبة البنات فى مثل سنها، قد تراها فى ركن هادئ مع طفل يمثل معها لعبة «عريس وعروس» وهى قابضة على لهوه معها، وقد تراها فى ظل شجرة تأنس لحكاية تحكيها ببراعة لصبى الجيران، عبر أنوثة مبكرة داهمت جسد الصغيرة كأنها ولدت إمرأة كاملة الغريزة، وقد تجلى هذا السلوك الغريزى فى الطفلة كاميلا عبر حياتها المدرسية، عندما ذهبت إلى مدرسة «دومبريلز» وهى تجتاز المساحة العشبية الخضراء المليئة بالأشجار حتى تصل إلى قرية «دوبتشنج»، بعد أن تكون قد قطعت أكثر من ثلاثة أميال، بين بيت الأم روزالين ومن القرية، أثناء هذه المسيرة فى الذهاب أو العودة كانت تتسلق الأشجار التى تقابلها فى الطريق أو تشق طريقها وسط زحام الأغنام والأبقار، وتقفز فى القنوات المليئة بالماء والطين، فاتحة ذراعيها لحب الحياة والناس، دون فواصل دون حواجز حتى إذا ما وصلت إلى دومبريلز تصبح محط أنظار الجميع، عبر قبول باسم وتهريج مستحب من قبل زملائها، وتصبح فى ذات الوقت وجودا مرفوضا، وسلوكا معيبا، ورمز الإخلال بالنظام من قبل المدرسين والإدارة المدرسية، على نسق النظام التقليدى الذى عرفت به المدارس الإنجليزية فى هذا الوقت من أهمية الإنضباط ودقة أوقات الدروس وهذه التوعية من المدرسين الذين لا تعرف وجوههم الإبتسامة إلا فى لحظات نادرة، ثم تأتى لوحة العقوبات التى تفرض على التلاميذ عبر أى هندام غير منظم والأهتمام الحريص على السلوك داخل الفصل المدرسى وخارجه عبر الردهات والطرقات، والإلتزام المقدس لإحترام المدرسين ولكل من عمل داخل المدرسة حتى العامل الذى يدق الجرس.

ومن هنا ونتيجة لطبيعة كاميلا الجامحة المنطلقة تعبت وعانت كثيراً من هذه النظم المدرسية، وبات لها أن البقاء فى المدرسة مثل البقاء فى دورة مياه عمومية فى ميدان

عام، وكثر عقاب مدرسيها لها، وكثرت الشكاوى من معاملتها القاسية مع البدات ومعاملتها الحانية مع صبية مدرسة دومبريلز، وقد تركت كاميلا هذه المدرسة عبر السنوات التسع من عمرها وهى أكثر قدرة على المواجهة وتحدى الآخرين ومداومة الصراع ضد كل ما كانت تؤمن به أنه صواب، خاصة نحو هذا الميل الغريزى الجارف نحو التشبه بالصبيان.

* * *

وقد ظهر هذا التناقض جليا عندما ذهبت الصبية كاميلا إلى العاصمة لندن وألتحقت بمدرسة «كوينزجيت» الراقية، والتى لا يلتحق بها إلا أبناء أرقى الطبقات الإنجليزية، عندما اصطدمت بها التلميذات هناك ممن تجاوزن العاشرة من العمر عبر تناقضات سلوكية حارة كانت تتمتع بها كاميلا عنهن، ومع وجود مثل هذه التناقضات كانت كاميلا مصدراً من مصادر البهجة عند هؤلاء التلميذات الفاقدات عناصر الإندفاع والإقتحام والمغامرة والصراحة والتلقائية فى تناول الموضوعات المحرمة الحديث عنها بين جدران المدرسة،

* * *

بهذا الكيان وهذا التكوين المخالف لكثير من عادات السلوك الفردى عند فتيات الإنجليز واجهت كاميلا الأمير الشاب تشارلز ولى عهد التاج البريطانى.

كان هذا عام صيف ١٩٧٠، وتشارلز فى الثانية والعشرين من عمره، وكاميلا تكبره بعام واحد، وكان اللقاء فى أرض الجولف الملكى، عندما اقتحمت المكان كاميلا، وهى تمسك بلجام حصانه، الذى مدحته بأنه حصان يليق بفارس، مثل مدحنا لطفل لإمرأة نريد أن نغازلها، وكان حديث الحصان هو سبيلها إلى فارسها الجديد. كانت خبيرة بالرجال، وكانت تعرف مسبقاً سبيلها إلى قلب الرجل، ومن هو هذا الرجل؟! هل الشاب تشارلز ولى عهد إنجلترا، من سيكون ملكاً على بريطانيا العظمى، المملكة المتحدة، التى كان يقال عنها فى هذا الوقت بلاد الشمس الدائمة، أو التى لا تغرب عنها الشمس أبداً، من خلال احتلال إنجلترا لشبه القارة الهندية والمستعمرات الأخرى المجاورة، وشمس

غربت منذ نصف قرن، عبر أدعياء الإستعمار والقوة من بقايا النبلاء واللوردات، وعلى هذا القياس السابق تجلى لكاميلا إختيارا غربت عنه شمسه، عبر الأمير تشارلز، الذى نظر لها جوله، أثارت فيه رغبة الرجل لا الأمير، على عكس ما كان فيه، وعلى عكس ما كان يعانيه، من برود عاطفى وشبه مأتم جنسى، فلم يكن يرغب فى النساء مثل الآخرين، رغم تجاربه القليلة من بعض النبيلات وزوجات اللوردات، إلا أن كاميلا منذ لحظة اللقاء به فى أرض الجولف عبر عصى البولو أيقظت فيه ما كان نائما، عبر أسر حسى كان يتدلع من عينيها الملونتين وشعرها الأشقر المائل إلى الإحمرار مثل بشرتها وأنفها الطويل الذى يكاد أن ينفصل بين خديها وهذه الشفاة الشرهة بالحديث والدلالات والإنحناءات مع كل كلمة تخرج منها إلى شفتيه، وهذه الأصابع التى كانت تتكلم عبر الإشارة والإنحناءة وأعطاء المثل على ما تقوله، حدثته كاميلا عن جدتها أليس، وحدثته بنفس الحماس عن جده أدوارد، وما كان بين الأثنين من تاريخ قديم وطويل عن علاقة الحب الذى كان، والحب الذى لا تريد له أن يموت.

من خلال كاميلا وتشارلز ومنذ هذا الحديث طرحت كاميلا جسدها فوق فراشه، دون أسباب موانية، إلا أن تكون قريبة منه، وتستطيع أن تشكل له حياته، وتستطيع بالتالى أن تكون جزءا محوريا فى التاريخ البريطانى، أما تشارلز، رغم جموده، وتسلط إرثى خاضع تماماً للزوميات وتعليمات وإرشادات وقوانين القصر الملكى، خاصة من جانب أمه اليزابيث، فقد أسرته كاميلا، مكبلا بكل رغبة وجدانية وجسدية فيه، أن يسلم قيادته لها، عندما تلامس الجسدان لأول مرة، أيقن أن كاميلا هى المرأة وهى الجسد الذى كان فى انتظار أن يلقاه، سواء فوق سريره أو فى أية حجرة من حجرات قصوره الملكية، أو عبر رحلاته البحرية، فوق يخوت التاج الملكى، أو عبر رحلاته حول العالم، وقد ناصر هذا العشق الآثم أطراف كثيرة من أرباب النياشين والألقاب ومن ذوى المكانة العالية فى القصور الملكية، خاصة ماونبانتن عمه الذى شجعه على إقامة علاقة آثمة وارتكاب جريمة الزنا مع كاميلا، التى كانت هى بدورها على علاقة جنسية مع غير الأمير مثل أندرو الذى كانت تريد أن تدفع الغيرة به من تشارلز باغية زواجه منها، وقد هيأ عم تشارلز كل الظروف المتاحة وغير المتاحة لإغراق تشارلز بين أحضان كاميلا،

وقد لعب هذا العم دوراً كبيراً فى تهيئة الظروف الحسية فى حياة ابن أخيه، وإرشاده إلى تعلم كثير من الخبرات فى معاملة النساء وإحاطة هذه الحسية فى جسد تشارلز بهالة من المشروعية وإبلاغ بعض الجهات الإعلامية بمثل هذه الأخبار، حتى دفع الرأى العام البريطانى إلى تخيل إن مثل هذه العلاقة ستصل فى يوم من الأيام بزواج كاميلا من الأمير تشارلز، وفى الوقت ذاته كان عمه متأكداً إستحالة مثل هذا الزواج، على الأقل طبقاً للنظام الملكى.

وفى الوقت ذاته أيضاً كان يعد إبنته للزواج من الأمير، لكنه فشل فى إقامة علاقة بين الإثنين لأن كاميلا كانت هى الأقوى، وهى التى كانت أشد تأثيراً وجدانيا وجنسياً على عقل وقلب وجسد الأمير تشارلز فيليب، كما كانت الملكة اليزابيث تعلم بمدى العلاقة بين إبنها وبين كاميلا، التى وجدت فيها الأداة الفعالة فى تكوين رغبة الجسد فى عيون إبنها تشارلز رغم أنها على يقين أنها أى كاميلا لا تصلح له زوجة بقدر ما تصلح له عشيقة فى ظل التاج الملكى الذى كان يميل كثيراً إلى تواجد كاميلا فى سرير تشارلز، رغم علم الملكة وغيرها من أعضاء الفئة الحاكمة إن كاميلا لم ترقد فقط للأمير تشارلز، فمن قبل شاركت فراش الكثيرين من الشباب، خاصة مع كيفين يورك إبن أوبرى يورك أحد أكبر أثرياء لندن، الذى حولها من فتاة عذراء إلى إمراة جامحة شرهة لإشباع نهمها الجنسى لأى مغامر يريد إصطيادها وهى لم تتجاوز بعد العشرين من سنين عمرها، وخرجت كاميلا من تجربة الجنس مع أوبرى يورك إلى صياغة جديدة فى التفكير فى الذات وفى التفكير فى الوصول إلى أقصى طريقة فى الإمتاع والإستمتاع بالرجل، الذى تسلم له ساقيها، وانتهت متعة الجسد مع أوبرى بعد أن أخذت منه جنسياً ما أردته تماماً من رجل آسر مثله، لكى تعطى لجسدها فرصة البحث الجدى عن رجل آخر يستطيع أن يعطيها ما لم تستطع أن تأخذه من يورك بعد أن تضب معينه.

قانـون « طـظ »

بين كاميلا وزوجها أندرو

قبل أن تعرف كاميلا طريقها إلى أحضان تشارلز فيليب ولى عهد بريطانيا لعب أندرو باولز دوراً كبيراً وحاسماً فى حفر وتمهيد وإنشاء هذا الطريق إليها عبر قانون «طظ» مع الفارق. وكلمة «طظ» طرحها نجيب محفوظ قانوناً وضعياً خاصاً عبر شخصية محجوب عبد الدايم، وفى ثنايا وقائع رواية «القاهرة الجديدة» التى نشرها عام ١٩٤٥م، وكانت تحمل إسم «فضيحة فى القاهرة» عندما نشرت أول مرة، وهناك كلمة بديلة أو قريبة من كلمة «طظ» وهى عبارة «لا شيئ يهم» والتى كانت عنواناً لرواية إحسان عبد القدوس، التى نشرت عام ١٩٦٣م.

وبين كلمة «طظ» وعبارة «لا شيئ يهم» تتجلى شخصية «أندرو» فى حياة الأميرة ديانا والعاشقة كاميلا، رغم إختلاف الظروف والأحداث والأحوال السياسية والإقتصادية والإجتماعية بين شخصية «محجوب عبد الدايم» فى الحياة المصرية وشخصية «أندرو» فى الحياة البريطانية. كان عام ١٩٦٧ م وهو عام بداية الصداقة بين ضابط سلاح

الفرسان أندرو ويورك باركر باولز مع كاميلا، منذ أن شاهدته فى أحد الحفلات الأرستقراطية، ومنذ أن شاهدته قررت وصممت أن يكون زوجاً لها، أو على الأقل أن يكون أحد عشاقها خاصة إنه كان ثريا جداً عبر ثراء والده.

هذه العلاقة القديمة والحميمة بين عائلة أندرو والعائلة المالكة البريطانية ومعرفة أندرو بكاميلا هى معرفة جنسية فى المقام الأول، حين رأى فيها نموذجاً للمتعة الغابية التى قدمتها له بكل رغبة إشتهائية فيه، وقد عبرت عن هذا المعنى فى الحديث عنه مع الآخرين، عندما كانت تروى تفاصيل طرق وأسلوب المداعبات الحسية معه، علها بهذه الحكايات أن تأسره لذاتها، وتكسبه فيما بعد زوجاً لها وهو تفكير عقيم من كاميلا لأنها لم تكن أبداً جميلة، لكنها كانت مرغوبة فى جسدها، مما دفع أندرو أن عرف غيرها من النساء علانية متحدياً كاميلا التى كانت تريده لجسدها هى فقط، لكنها فشلت وأخذت تبحث عن وسيلة فعالة من أجل تحقيق هذا الهدف، ورأته فى فعل «الغيرة» عليها أن تقيم صداقة حسية مع آخر أفضل منه وأكثر منه شهرة ومكانة.

وأتجه تفكيرها إلى ولى عهد بريطانيا تشارلز فيليب الذى أسلم لها قيادة نزواته ورغباته، من الجانب الآخر أيقن أندرو أنه هزم ومن الذى هزمه؟ هل الأمير تشارلز، وعلى من كانت هزيمته؟! كانت من خلال كاميلا التى أصبحت عشيقة للأثنين مع علمها أن أحدهما لابد فى نهاية المطاف أن يكون زوجاً لها، وفعلاً أستطاعت كاميلا أن تجعل من أندرو خطيباً لها، كان هذا عام ١٩٧٣م، عندما صدم تشارلز بهذا الخبر، الذى جعله يبكى أمام بحارة يخته الملكى وهو فى رحلة شبه القارة الهندية. وقد تم زواج كاميلا من أندرو فى صيف هذا العام، عبر حفلة ملكية تحدثت عنها وسائل الإعلام بإستفاضة، وألمحت بعض المجلات والجرائد وتحدثت بعض نساء القصر الملكى عن بعض ألغاز هذا الزواج، وكيف قبل أندرو أن تكون كاميلا هى زوجته، وهى فى متناول سريره ويده؟.

كان اندرو فى هذا الوقت يغيب كثيرا عن كاميلا، التى يبدو أنه شبع منها وهى لم تعد لهفة عليه، كان فى داخلها يحيا ويعيش تشارلز، وكانت تمارس الجنس مع زوجها أندرو وهى تتخيل تشارلز معها، وقد اكتشف أندرو هذا الخيال، وحاول من جانبه أن

يحول هذا الخيال إلى حقيقة، فبدأ يمهد الطريق أمام الأمير ليقابل زوجته فى فترات غيابه عن بيته، وفى داخله كلمة «طظ» تدوى فى كل كيانه، وتسرع فى ذاكرتنا المصرية صورة محجوب عبد الدايم، الذى كان يترك منزله فى وقت معين من الليل أو النهار، ليأتى العشيق ليحل معه فوق فراش الزوجية، والفارق بين أندرو ومحجوب عبد الدايم كبير، لكن الهدف الذى يجمع بينهما واحد، وهو ترك المكان ليأتى عشيق الزوجة، يمارس معها صك الاتفاق المحرم الجنسى بين رجل وإمرأة عبر موافقة الزوج، وهذة كانت مأساة محجوب عبد الدايم فى البيئة المصرية، عكس أندرو باركر فى مستنقع المجتمع الراقى الانجليزى، حيث كان من الطبيعى وحتى الآن الأزواج يتبادلون الرقاد مع الزوجات أثناء الحفلات العامة أو الخاصة ، عبر اتفاق ورضى من جميع أصحاب هذة الطبقة، والتى كان من خلالها أندرو وزوجته كاميلا، التى أصبحت تسمى منذ اقترانها به بأسم كاميلا باركر، التى اصبحت القاسم المشترك كانثى بين الأمير تشارلز وضابط سلاح الفرسان أندرو، وقد تطورت هذة العلاقة، ودفعها إلى الأمام أندرو، فأقام صداقة بينه وبين عشيق زوجته الأمير تشارلز.

وبهذا وجد أندرو طريقه الذى كان يبحث عنه طويلا، وفقا لمخططاته وطموحاته فى الوصول الجيد إلى قلب القصر الملكى، وبهذا يستطيع عبر عرى كاميلا فى احضان تشارلز أن يأخذ الثمن الذى يحدده هو ويفرضه هو فى مواجهة الأمير، عبر شعار«طظ» المصرى وشعار « لا شيئ يهم» الغربى الدلالات، خاصة عندما حملت كاميلا، وجاءها ولدها وابنتها، ونحن لم نعد قادرين أن نحدد من يكون الأب لهما، هل هو أندرو صاحب المغامرات والعشيقات، أم هو أمير البلاد تشارلز صاحب قصر بكنجهام؟! حتى انتهت علاقة أندرو بالعطش للجنس كاميلا، ولسطوة الجنس على هؤلاء ولغرابة الانتقام الجنسى عند هؤلاء، أن أندرو هذا أصبح عشيقا لآن شقيقة ولى عهد انجلترا تشارلز، عبر علاقة قديمة كانت بدايتها فى فترة منتصف الستينيات، وحتى الآن، وقد أقامت الأميرة آن علاقات جنسية مع كثير من الرجال، سواء قبل زواجها أو بعده، وتشارلز يقف مشاهدا بالسلب أمام هذا السقوط، لأن القاعدة تقول وكما تدين تدان، وكأننا عدنا إلى عصور الغابة ووحشية القنص ورداءة الحصاد، كأنه عالم من القطط، عالم من الكلاب .

صراع النساء بين الأميرة ديانا والعشيقة كاميلا

مثل البحث عن قطعة ماس فى كوم من الزبالة، كانت العائلة المالكة البريطانية تبحث عن عروس لولى عهد بريطانيا الأمر تشارلز فيليب، الذى زكمت سيرته أنوف كثير من البريطانيين، على عكس عدد قليل منهم، الذين كانوا يحلمون بملك أو أمير يعلى من شأن الفضيلة، ويضرب فى طريق الصواب عبر الأعمال الخيرية الكثيرة، والبعض لم يكن لا مع الأمير ولا ضده، فى ايمانه المطلق بالغاء الملكية، ولا جدوى لوجودها طالما أنها أثر بغيض من تاريخ آثار الاستعمار البريطانى الذى أصبح هو ذاته سبة فى جبين هذا التاج البريطانى، الذى رفضته الشعوب وأعلنت حربها على اسقاطه وعودته إلى جزره التى نخرها الدعر من القمة حتى القاع. كانت هذه العائلة المالكة فى

حاجة ماسة إلى عروس لإبنها تشارلز، الذى مضى فى علاقته الجنسية مع كاميلا سنيناً طويلة، والذى لم يستطع أن يجعلها زوجة له طبقاً لتقاليد التاج ومسايرة لبروتوكولات الأسرة، التى لا حول لها ولا قوة فى حكم بريطانيا.

والعشيقة كاميلا ذاتها أكدت لتشارلز عندما عرض عليها الزواج، رفضت أن تتحول من عشيقة إلى زوجة، حفاظاً على صداقة الأسرة المالكة، وخوفا من أن يثور الشعب البريطانى ضد تشارلز عندما يصبح ملكاً ويأتى ولى عهده من بطن عاهرة، وكأن البريطانيين أنفسهم قد نسوا أو تناسوا تاريخهم البغيض فى حكم الشعوب وفى حكم أنفسهم، عبر رايات سقوط خلقى حول بعضهم إلى حيوانات متوحشة فى غابات من الحديد والأسمنت، فما بال هذه العائلة المالكة عندما أرادت أن تبحث عن عروس عذراء، فى قصور مليئة بالبغايا، رحل «العذر» عنها منذ سنين وأرادوها عكس ما هم فيه.

ولسوء حظ ديانا أنها كانت هى العروس حيث كان اختيارها مأساة، وكانت تقف على قمة هذه المأساة هى العشيقة كاميلا ذات الرجلين، أندرو ضابط الفرسان الغائب بكل ارادته عن جسد كاميلا، وتشارلز الذى احتل فراشه منذ زمن، بكل رغبة فيه فى جسد كاميلا. وكانت العروس ديانا هى من دفع الثمن غالياً.

* * *

كان يحلو لتشارلز أن يكون موضع اهتمام من قبل النساء، وأن يكن راغبات فيه، وأنه يستطيع أن يفعل معهن ما لا يستطيع غيره من الرجال، كان هذا مظهراً سطحياً من مظاهر هذا السلوك الحسى والسلوك الذاتى، والذى كان فى حقيقة الأمر سلوكاً تفويضياً عن معاناته الداخلية حيال سلوك أمه معه منذ أن كان صغيراً، وسلوك الآخرين من حوله لأنه ولى العهد، أما لو تجرد من هذا المركز الملكى الذى يتمتع به لما أقبلت عليه بائعة دندرمة فى أسواق القاهرة، وقد تجلى هذا الأنفصام وهذا الإنفصال فى عديد من المواقف سواء كان تجاه ذاته، أو تجاه ديانا أو تجاه كاميلا أو غيرها من النساء.

- ١ -

ديانا زوجة بلا زوج

شق طريق الزفاف قلب العاصمة البريطانية لندن، وسط آلاف من جموع المشاهدين، الذين انتظروا طويلاً حتى يمر موكب العروس ديانا، التى كانت تبتسم، لم تكن فى هذه اللحظة قادرة إلا على الإبتسام، لكنه إبتسام لمن؟! كان هذا السؤال هو الذى قادها إلى حجرة النوم فى القصر الملكى، عندما أراد الجسد أن يبتسم هو الآخر، فى هذه الليلة كانت القدرة على الإبتسام الفاعل هو ما كانت ترجوه ديانا، تريد أن تنجح به، تريد أن يكون جسدها هو سبيلها إلى قلب الأمير، تريد أن لا يتقوض معنى الحلم، عبر خطوة غيو بلهاء فى عتمة جسد كانت متؤكدة من لحظة شروقه وغروبه معه، ومعها أيضاً كانت ديانا على استعداد تام أن تعطى، ومن الممكن أن تنتظر، لقد علمها هذا تشارلز أن تكون هى البادئة هى الهاتفة بأسمه، الراكعة عند قدميه، الملبية لكل رغباته، المستعدة تحتوى كل هذا العالم فى سبيل أن يكون هو رجلها الأوحد، رجلها هى، لا رجل كاميلا أو أنا والاس أو أختها سارة، فى داخلها شواطئ ظمئ لقوارب المجداف، لأغنيات الأصيل، لتراتيل معبد فيلوس وجميلة الجميلات نفرتارى، فى كيانها لحظة واحدة من التوهج المنتظر أن يدوم أو ينطفئ فى لحظات ولادته.

وعندما تعرت وقام بتقبيلها الأمير، كانت شفتاه تحمل إسم عشيقاته، كانت يداه تحيط بصدر كاميلا، كان جسده يرتعد ناراً، لا فى صدر ديانا، لكن فى صدر نساء كان لهن السبق فى اشباع الأمير منذ هذه اللحظة، فى الليلة الأولى فى زواج القرن أيقنت ديانا، مع بعض الأمل، أن جسدها الجميل النحيل هذا لن ينجح فى شق طريق البقاء، وأن العمر يبدو أنه رحلة قصيرة قصيرة حتى ستؤدى إلى الهباء، وأن العشق العجرى لاتستطيع أن تشتريه لأنه لا يباع ولا يتواجد إلا عند أمثال كاميلا، وأن قانون الجسد لاتستطيع امتلاك نصوصه المؤدية إلى الحكم بالسجن أو الحرية، ولا ثالث لهما إلا القبض على الحجر، مثله مثل القبض على برودة الحجر.

وهكذا افترق الجسدان، جسد ديانا التى بقيت فى هذه اللحظات عذراء، وجسد

تشارلز الذى ضرب فى الجنس حتى النخاع، ولم يستطع أن يقول لها شيئاً إلا أنها جميلة، وكان الموقف يحتم أن تتحول هذه الكلمة إلى فعل جسدى، يرضى الأمل فى عيون ديانا أن تكون هى الأصل، لا الصورة، وتوالت الليالى، وتوالى التباعد، وترجمت الخطوات بين السرير ودورة المياه معنى غروب الشمس الدافئة قبل الأوان، واستسلام لحظة التلاقى فى نوبة غفوة فى أضواء المساء، عند ذلك تلمس ديانا جسدها الجميل الذى تعرى، والذى لم يستطع أن يبعثره الأمير تشارلز، إلا فى أوقات قليلة، تكاد أن تكون نادرة، ورغم هذه الندرة فى اللقاء الجسدى بين الأثنين، عرفت ديانا أن الفارس لا يستطيع أن يبقى فوق حصانه مدة طويلة، لأن الخيول الأخرى أضحت أكثر عناداً فى امكانيات الثبات النشوان تحت جسد الفارس، وبالتالى بدأت عيون ديانا تبحث عن الآخر، أيا كان نوعه، وأيا كانت مكانته، بحثاً عن التعويض الذى قد تجده فى كلمات أغنية، أو فى نشوة لحن راقص، أو فى رقصة باليه لبجعة لم تعد الأولى فى الإيقاعات الرشيقة بينها وبين مشاهديها.

وقد احتالت ديانا عندما كانت تنفرد بذاتها فى حجراتها، وتطالع ما كان يكتب عنها، قبل أن تكون أميرة ويلز، وتجد فيها متعة تذكارية لماضى قريب الحدوث حول معنى السعادة، التى حاولت أن تبحث عنها فى قلب تشارلز فلم تجدها، وفى جسد تشارلز، فلم تجدها أيضاً، وندما أرادت ديانا أن تقيم حواراً بالجسد مع تشارلز لم تجد مفرداته، لغته، أسراره، كانت اللغة مفرداتها مبهمة، تحيط بها بقاع كثيرة من الغموض والحذر والغرابة، عبر طقوس لحمية لم تستطع أن تشكلها عبر مفردات كان يتقنها تشارلز، لكن هذا الإتقان لم يكن مهيئاً لديانا كان لغيرها وهذا الغير أصبح هو جحيمها، حسب ما قرأت عن فكر سارتر عندما قال أن الجحيم هو الآخر، وهو معنى فلسفى باطنى فى المقام الأول لكنه كان عند ديانا هو أول دلالات هذا المعنى، عبر باب الحواس، الذى أخمدته كاميلا فى رغبة ديانا.

وحاول تشارلز على أن جعل من ديانا مخلوقا من الدرجة الثانية، كان يناديها بأسمها مجرداً ديانا، اذهبى يا ديانا، تعالى يا ديانا، أتبعينى إلى حجرة النوم يا ديانا،

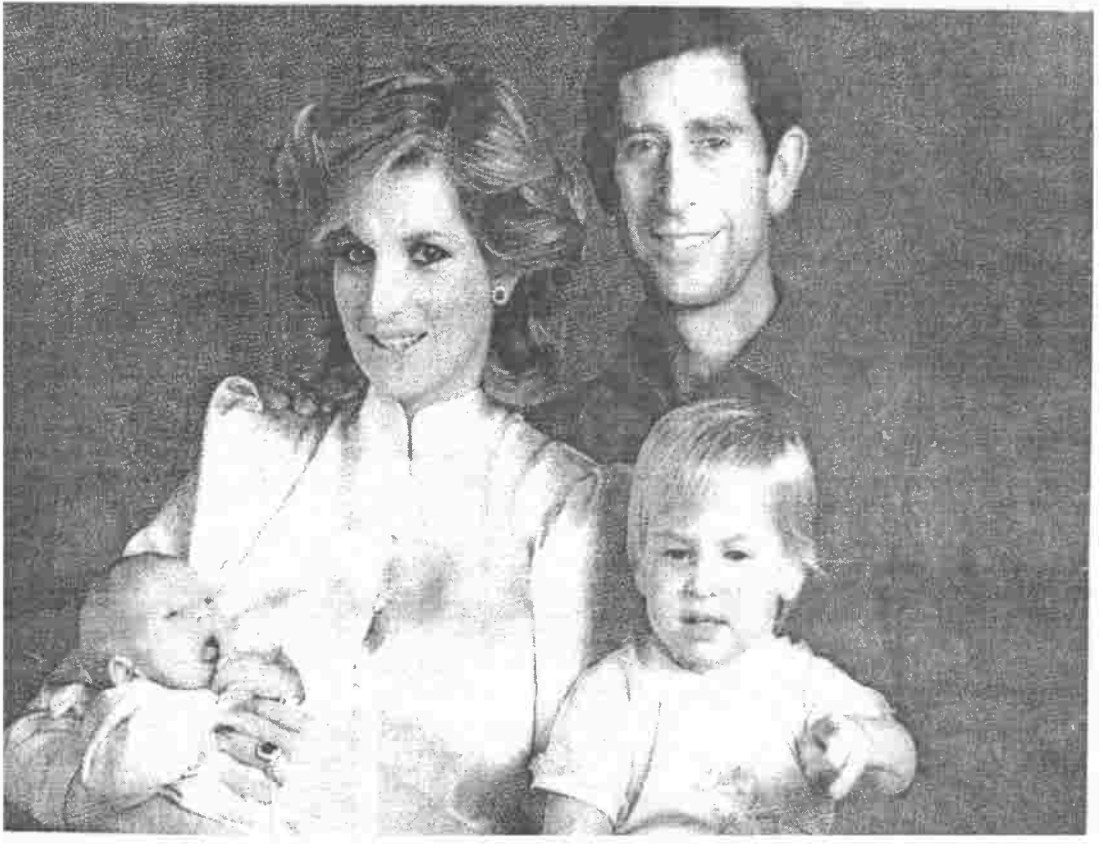

أريد أن يطارح جسدك الغرام يا ديانا، بينما كانت ديانا تناديه بسيدى الأمير، مولاى أمير ويلز، صاحب الفخامة، ولى عهد بريطانيا، مما أحال كل هذه الكلمات إلى معنى يحمل فى طيته معنى الجدب فى المشاعر والأحاسيس، يحمل معنى التباعد العاطفى الوجدانى بين اثنين، رجل وأنثى، ليس بين أمير وأميرة، مما جعل للصمت معنى، والرغبة الجياشة فى الإرتواء معنى، والهجرة الداخلية فى النفس الإنسانية معنى وللغرابة فى المكان والوطن معنى وفى الحوار والحديث مع الذات معنى، كأن هذه القصور قد خلت من سكانيها، وكأنها ليست إلا مجموعة من الأسماء والأحجار المنسية فى تاريخ قد فقد أهم معالم أحداثه.

ورغم هذا كله جاء، حملت ديانا، جاء ووقع الحدث الذى كان لا يمكن أن يقع، عبر جدب المشاعر وظلمة المكان وفقر الجسد من لغة الروح، حملت ديانا ووجدت فى هذا الحمل رحمة من السماء وخطاب تعويض لها عن عالم الصمت، وعندما رتبت على بطنها سعيدة بمعنى سيأتى لم تشترط فى داخلها أن يكون القادم ولداً أو بنتاً، وسيان بين الأثنين، وعليه أن ينزل إلى الأرض لتراه يبكى ويضحك ليملأ الدنيا من حولها سعادة وأخيراً جاء، جاء الأمير وليام ليضيئ لها الدور من جديد.

- ٢ -

سقوط الزوجية

قبل مجيئ وليام، أثناء شهور الحمل، عندما يغادرها تشارلز لم تكن تعرف أين هو ذاهب، هذا لم يعد يعنيها ذهاباً، لأن إيابه لن يأتى بجديد، فهو يخرج ويدخل جسدها أو حجرتها بآلية وقتية خالية من كلمة وفاء، حتى من أجل من فى بطنها لكنها كانت تعرف أنه ذاهب إلى النساء، كأنها ليست من النساء، وكأن النساء يملكن ما لا تملكه، كأن المرأة الأخرى لها أربع أثداء بدلاً من ثديين، وأربعة أفخاذ بدلاً اثنين، وأربع شفاة بدلاً من شفتين، وكانت تعرف إن هذه المرأة الأخرى رأتها من قبل، فى حفلة، فى سهرة، فى رحلة، فى بيتها.

وتأخذ ديانا مكاناً أمام نافذة أو شرفة واسعة، أو فوق عشب القصر، وتتخيل كاميلا

كيف تنام مع الأمير؟! وما الذى يعشقه فى جسدها دونها، كيف تستدير له؟ كيف تمازحه؟ كيف تطلق النكات الجنسية لكى تثير شهوته؟ كيف تعرى له جسدها، وكيفية تعرية هذا الجسد ومن أين تبدأ؟ وإلى أين تنتهى، حتى يرتمى بجوارها، يفور مثل الثور حتى يربت على بطنها أو أردافها أو يقبل من جديد باطن كف يديها. كادت ديانا أن تجن، عندما يبلغ خيالها مداه، وهى تعايش سكوت جسدها بجانب صمود المرأة الأخرى، أيا كان أسمها، وأحست بل أيقنت بجانب سعادتها بطفلها الذى ما زال فى بطنها، أيقنت أنها لا تريده، أنها ترفض تواجده، لأن تواجده من تواجد تشارلز فيليب، وهى ترفض الآن تشارلز لأنه أسقط أعلى قيمة فيها، هجرة لها وتعمد إنكارها، فما يربطها به سيان أن تحرص عليه أو تفرق فيه، نسيت أن تكون كياناً مستقلاً وسلمت ذاتها أن تكون تابعة، وهى فى الوقت ذاته تبحث عن حل، تبحث عن إرادة قوية لوضع حد لسقوط زوج، ولم تكن تدرى أنها تبحث عن الموت، فى أبشع صورة له، الموت بالإرادة ، لا الموت بأمر إلا له، عندما صعدت سلماً عالياً وتوقفت قليلاً من أعلاه، وحسمت القضية فى لحظة، حين تركت جسدها يهوى من أعلى ليحدث دوياً فى أرجاء القصر الملكى، تريد أن تنهى حياة قصيرة الأجل عبر لحظة، وجسدها يهوى ويهوى ساقطاً من أعلى برج لندن، كان هذا هو إحساس ديانا بالمكان وبالبوم وبالغربان.

حين هرع الجميع إليها كانت رسالتها قد وصلت إلى من يهمه الأمر، لكن فى الحقيقة من كان يهمه الأمر؟! هل الملكة اليزابيث؟! هل إبنها تشارلز؟! هلى أختها سارة؟! هل أخوها تشارلز؟ هل كل آل سبنسر؟!! كانت ديانا فرداً فى جزيرة، نائية عن العمار العاطفى، نائية عن العلاقات الدافئة، وفى بطنها جنين لا تريد له أن يكتمل.

* * *

-٣-

إنتحار عصفور حزين

يقول الدكتور سعد جلال فى كتابه «فى الصحة العقلية» حول ظاهرة الأنتحار (هناك إجماع على أن المراهق أو الشاب الذى يحاول الإنتحار لا تأتى إليه الفكرة فجأة، ولكن الحادثة يسبقها عادة شعور بالإكتئاب واضطرابات يمكن أن تشير إلى الإتجاه الذى يسير إليه المراهق أو الشاب، وغالباً ما يتردد فى حديثه الكلام عن الإنتحار. وإذا حاول المراهق أو الشاب الإنتحار مرة فهناك احتمال كبير فى أنه سوف يكرر المحاولة، وغالباً ما لا تثير المحاولات الأولى انتباه من هم حوله. إن الإضطرابات الأسرية، وشعور المراهق بالعزلة من العوامل الهامة التى تهئ المراهق أو الشاب للإنتحار).

وإنطلاقاً من هذه التعريفات كانت ديانا مدفوعة رغماً عنها وفى نفس الوقت بإرادتها أن تقفز بجسدها من أعلى سلم القصر الملكى هادفة إلى التخلص من حياتها أو التخلص من خيبتها، عبر إرادة اعلامية تريد أن تعلم بها الغير أنها غير راضية عن حياتها، وعلى تشارلز فى المقام الأول أن يستوعب الرسالة جيداً، لكن للأسف أقام تشارلز لذاته سوراً، بل أكثر من سور، يعزل زوجته الجميلة ديانا عنه، عبر أجساد الداعرات وزوجات أهم موظفى القصر الملكى، ومن هنا أقبلت ديانا على الإنتحار مرة أخرى، عبر إصرار نفسى وجدسى غير مقدن، خاصة وأن تشارلز كان ما يزال مسحوراً بحب الذات ونعرة الأعلى والنفخ فى مديح هذه الذات، وسط تداعيات نرجسية، جعلته يفتح عينه أكثر فى مرايا داعرات زوجات القصر، مما دفع إلى حدة المواجهة بينه وبين ديانا، التى لم تخطئ فى حقها فيه كزوج لا كعشيق، وحقها فيه أيضاً أن لايدفعها دفعاً إلى الخطأ، أيا كان نوع ولون هذا الخطأ، وهو ما يزال ينظر لها من أعلى، كأنها نكرة، جاءت من حوارى وأزقة لندن.

وإن هذا السلوك دفع ديانا أن تتخلص من حياتها، ليس لأن حياتها لا تقوم إلا على حياته، إنه شرط مجازى، قابل للرفض، هى تريد أبسط حقوقها كزوجة، مثل أية زوجة، أن تحس بذاتها، بكرامتها، واختلت بذاتها، وأعتدت على هذه الذات، عندما

أمسكت بشفرة حلاقة، وقطعت به رصغها، وانطلق دم عذابها يملأ المكان محتجاً على غياب معنى الحرص على الأسرة، وعلى الوليد، وعلى السمعة والأقاول المجنونة.

حول دائرة البحث عن أسباب إنتحار ديانا، وسط عالم حلم يحلم به من لا يعرف عنه أسراره وسابق مآسيه، وكل ما استطاع أن يفعله أمير ويلز، بعض بقايا العطف والشفقة، وهى ديانا لا تريد عطفاً ولا شفقة خاصة منه، هى تريد منه الرجل القوى الغيور عليها، الحامى لذاتها، المدافع عن حقوقها ووجودها أمام أهوال وغرائب حكايات قصور لندن، خاصة أنها حتى هذه اللحظة كانت ديانا حريصة أن تبقى مثل ما شاهدتها الملايين فى طريق زفافها، هذه النسمة الرقيقة، وهذا العصفور المغرد أمام من كان يطاردها من الصحفيين وسكان شارع الصحافة مع ما يكتبون، وما يسردون ويؤلفون عنها من الحكايات لكى يرضوا رغبات القصر الملكى، عبر لعبة حياة ولعبة موت، بين من كانت سندريلا وبين من كان أمل شباب بريطانيا فى تاريخ ملوك لندن.

* * *

-٤-

الإصرار على الرحيل

إن اعتداء الذات على الذات هو فعل له سبق الإصرار على الموت، وصيغة تقديرية موجبة ومركبة حيال بشاعة الجرم الإنسانى للوصول إلى غاية الموت انتحاراً. وهذا ما حدث بالنسبة للأميرة ديانا، التى حاولت من قبل أن تنتحر عندما دفعت بجسدها من أعلى سلم القصر الملكى، لكنها أنقذت فى اللحظات الأخيرة، وعندما أصرت على الإنتحار فى المرة الثانية عندما قطعت شرايين يدها، وأنقذت من الموت أيضاً.

لكن أن يصل الأمر إلى حد الرغبة فى الإنتحار لمرة ثالثة، فهو فعل يدعو إلى عديد من التساؤلات والاستنتاجات حول الحالة المرضية والنفسية التى وصلت إليها ديانا، عندما تناولت سكينا يستخدم عادة فى فتح صفحات الكتب وتقليم الأقلام وفتح علب الكرتون، وطعنت به ثدييها وجزءاً آخر من صدرها، ووسط عاصفة من الصياح والهياج والثورة الهستيرية ضد زوجها تشارلز، تركت صدرها وبدأت فى طعن فخذيها،

حتى كادت أن تجاوز كل هذا إلى منطقة القلب لتنهى تماما حياتها، أمام عيون وفى تواجد زوجها تشارلز، الذى لم يهتم بما حدث لها، وما أحدثته فى جسدها، ولم يحاول أن يفهم رسالتها الثالثة عبر ظاهرة الإنتحار التى صاحبت خطاها وهى تدخل عالم القصر الملكى.

قد يكون الأمير تشارلز قد فهم تماماً الرسالة المكتوبة بدماء ديانا، ولكنه لم يمتثل لمضمونها العام، الذى يصرخ بعدم الإهتمام بها، وإذا كان الأمر كذلك، أنه يريد أن يثبت لها أنه لا يهتم بها أصلاً، فماذا تزوجها؟ وربط مصيرها بمصيره ؟!.

وقد نجد الإجابة فى إطار البحث فى الأمراض النفسية وأيضا عن الإنحرافات السلوكية بالنسبة للأميرة ديانا، وبالنسبة أيضاً للأمير تشارلز الذى شارك مشاركة إيجابية فى دفعها إلى هذا العالم المجنون بالذات، والذى دخل فى حرب سلوكية شعواء حول ظاهرة «الذاتية» مثل مصطلح «النرجسية»، حين يذهب أو يغيب العقل، ويبقى الإنفعال الوقتى أو طويل الأمد هو السيد المسيطر على السلوك الوجدانى فى النفس الإنسانية، وهذا النمط من السلوك الإنتحارى عند ديانا ربما نجد بعض أسبابه فى محيط العلاقات السوية وغير السوية، حين ندرك أن هذه العلاقات الأسرية، سواء من أفراد أسرة العائلة المالكة البريطانية أو عائلة ديانا، كانت علاقات غير سوية، عبر ظاهرة التفكك الأحادى أو الجمعى، حين سبح كل فرد فى تيار فردى ذاتى ضد التيار الآخر، حتى يحدث التصادم وقد حدث فعلاً فى الفعل الإنتحارى عند ديانا، بجانب ظاهرة الامتلاء الذاتى، أو حب وعشق الذات فى سبيل التفرد والإنتصار ضد ذات الآخر، وهذه «الذاتية» عند الأمير تشارلز امتلأت حوافيها حتى أغرقت من أقترب منها، وهذا ما حدث من المحاولة الثالثة فى أنتحار ديانا.

—٥—

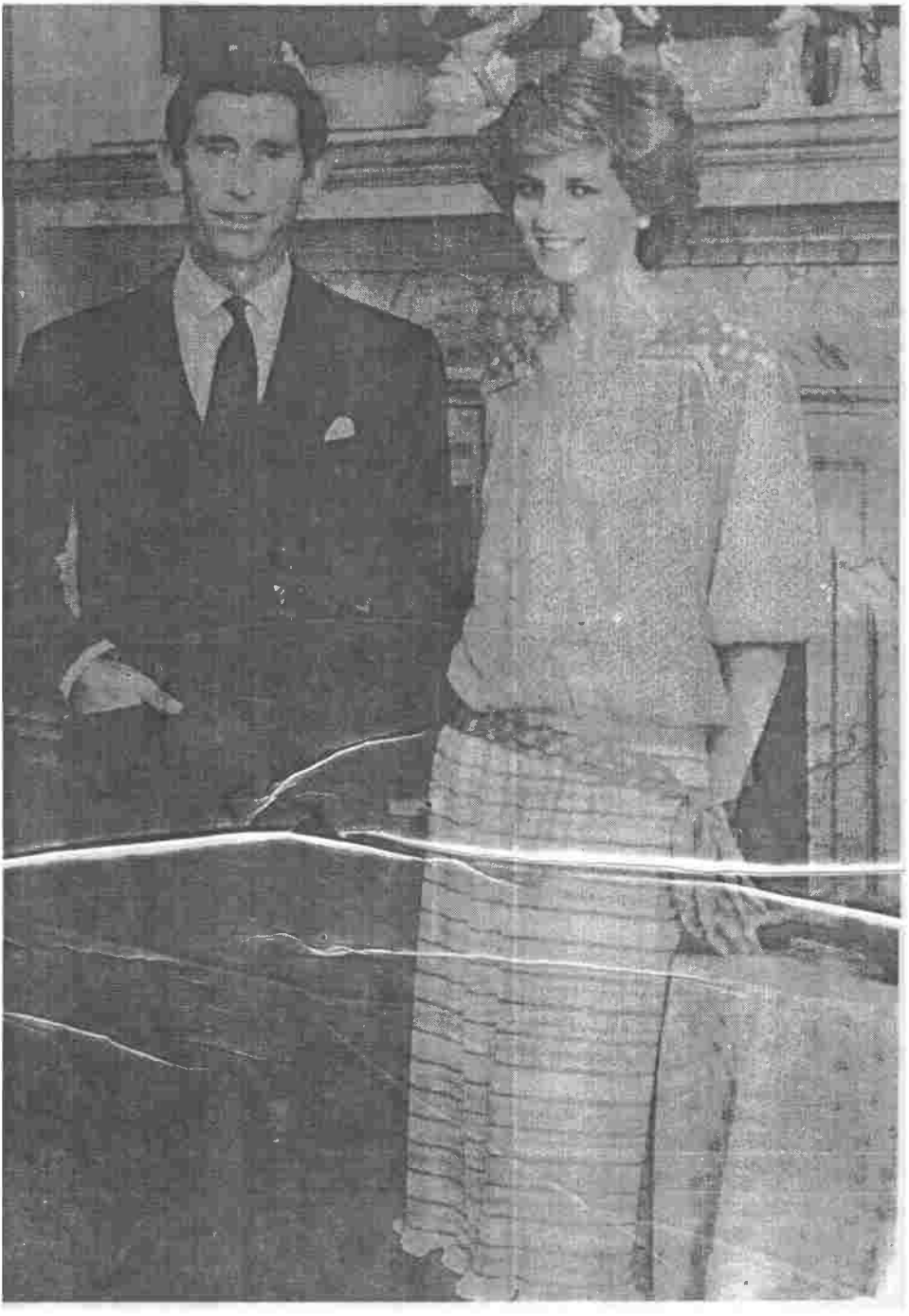

—٥—

حنان أم وجفاء أب

مثل ما جاء طفلها الأول ويليام فى تمام الساعة التاسعة وثلاث دقائق، صباح يوم الواحد والعشرين من شهر يونيو عام ١٩٨٢، حين غمرت الفرحة الأمير تشارلز ووالدته الملكة اليزابيث، والأم ديانا قبلهما معاً، جاء طفلها الثانى هنرى أو هارى، لكن توقيت المجئ كان بالطبع مختلفاً، حيث وضعت ديانا حملها فى الخامس عشر من شهر سبتمبر عام ١٩٨٤ فى مستشفى القديسة مارى.

والولادة أياً كان نوع العطاء فيها، هى هبة وهدية من الأم إلى الإنسان، يجب أن نشكر الله عليها، ويجب أن تشعر الأم التى تحملت رحلة هذا الوليد طيلة شهور تسعة أننا من حولها سعداء لها، نبادلها نفس أحاسيسها ومشاعرها كأم، ونحيطها بالعطف والحنان والرعاية الكاملة هى ووليدها. وقد حدث عكس هذا من الأميرة ديانا، ومع الوليد هنرى أيضاً، عندما قام الأمير تشارلز بزيارة ديانا فى مستشفى القديسة مارى، ولم يكن مشغولاً بالوليد قبل ولادته.

عبر هذا الجفاء وهذا التباعد بين الزوجين، نتيجة إنشغاله بغيرها من عشيقاته خاصة كاميلا التى كانت مازالت ترسم له معاملته لزوجته ديانا، نقول لم يكن تشارلز مشغولاً كأب بأبنه الوليد هنرى والذى لم يكن قد علم بعد بنوع هذا الوليد، وعندما قام بزيارة المستشفى لم يكن همه إلا معرفة نوع الوليد، هل هو ذكر أم هو أنثى، ولم يبتسم تشارلز وهو يشاهد وليده لأول مرة، لأنه عرف أن الوليد لم يكن أنثى وأحس بالغضب فى داخله أن الوليد جاء ذكراً، واختار تشارلز وأمه الملكة وبقية الحاشية فى القصر الملكى فى اختيار أسم له.

لكن الأم ديانا استطاعت هى وحدها أن تختار له أسماً أمام إصرار الآخرين ، إن اختيار أسم الوليد فى العائلة المالكة ليس من حقها، ورغم هذا واجهت ديانا هذه الهجمة الشرسة، نفاقاً للأمير تشارلز، والبحث عن خطوة عبر نفوذه، واختارت ديانا أسم هنرى أو هارى لوليدها الثانى والأخير. وقد يتساءل المرؤ عن سر عدم سعادة تشارلز بهذا الوليد الثانى؟! لماذا كان يريد أنثى وليس ذكراً؟! إن الإجابة لم يحن الوقت بعد لعرضها.